سورة الغاشية: دراسة تحليلية بيانية

*أمل إسماعيل صالح صالح**

ملخص

اخترت سورة الغاشية موضوعاً للبحث؛ لما لها من أثر، كلما سمعتها أو قرأتها، لا سيّما وأن تلاوتها مندوبة في الجمعة والعيدين؛ فكان الباعث قوياً؛ للنظر والتأمل في ما وراء آياتها من معان ودلالات مستنبطة، تؤثر في النفس والعقل؛ حيث بدأت بأسلوب الاستفهام، وهو استهلال مؤثر، ثم توالت الألفاظ بجزالتها، تلفت الانتباه لأحداث ستقع تقسم الناس بين كافرين وجوههم خاشعة، ومؤمنين وجوههم ناعمة، ثم دعوة للعقل قوية؛ لينظر في خلق الله، مهتدياً ومسترشداً، ثم ترك المجال للعبد؛ كي يختار ما يراه.

الكلمات الدالـة: الغاشية، تلاوة، الصلاة.

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فقد منّ الله عليّ بدوام الصلة بكتابه العزيز تلاوةً وتدبراً؛ تعلماً وبحثاً؛ فالقرآن جزل العطاء؛ لمن أنعم فيه النظر، "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ "[ص: 29] وهذا البحث بعنوان: (سورة الغاشية: دراسة تحليلية بيانية) اخترته؛ محاولة التوصل إلى الأهداف التالية:

1- معرفة مغزى تكرار تلاوة السورة في صلاة الجمعة والعيدين، وتأثيرها الوجداني على النفس وما يتبعه من تعديل السلوك.
2- استنباط وجه المناسبة بين سورة الغاشية وما سبقها وما تلاها في ترتيب المصحف، واستنباط مزايا السورة الكريمة.
3- التدبر؛ لاستنباط دلالات من نظم آيات السورة؛ لتزداد النفوس إيماناً وعلماً، ثم التعليم والدعوة إلى الله.

منهج البحث

التحليل والاستنباط، وتفسير الآيات تفسيراً تحليلياً بيانياً وموضوعياً مع عدم الاستطراد، ثم كتابة الآيات بالرسم العثماني وعزوها، وتوثيق القراءات، وتخريج الأحاديث، وتوثيق النصوص بالتنصيص عليها بين قوسين عند الاقتباس الحرفي، وعند التصرف أشير بكلمة؛ ينظر، والترجيح بين آراء العلماء، وفق القواعد العلمية.

الدراسات السابقة

قمت بالبحث حول ما كتب عن السورة؛ فلم أجد كتاباً أو بحثاً مستقلاً، وما كتب حولها- فهو على فضله، وعظيم نفعه – في كتب التفسير فقط. وكتاب الله مغدقٌ كثير النفع والبركة؛ وقد رغبت في كتابة بحثٍ مستقل، أضفت فيه توضيحاتٍ واستنباطات لم أجدها في حدود ما اطلعت عليه؛ راجية الفائدة والنفع.

وحسبما تقتضيه طبيعة البحث العلمي فقد جاء مقسماً إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين على النحو التالي:

المقدمة:

التمهيد.

المبحث الأول: دواهي الغاشية؛ وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: استهلال مؤثر.

المطلب الثاني: ترهيب وترغيب.

المبحث الثاني: حث وتحضيض؛ وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: دعوة تفكر وتأمل.

المطلب الثاني: وظيفة وتطمين، وعيد وتهديد:

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وبحثي غيضٌ من فيضٍ، وأسأل الله التوفيق والسداد، ومداومة الصلة بكتابه مع التدبر والفهم، وهذا جهد المقل؛ فما أصبت فمن توفيق ربي، والخطأ من ضعفي وقلة حيلتي.

التمهيد، ويشتمل على:

* قسم الدراسات القرآنية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. تاريخ استلام البحث 2013/9/18، وتاريخ قبوله 2014/2/23.

© 2014 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أولاً: تعريف بالسورة الكريمة

سورة الغاشية من القصار، وهي مكيةٌ، وعدد آياتها ستٌ وعشرون، وموضوعها الحديث عن دواهي يوم القيامة، وعن تصنيف الناس فيه وأحوالهم، ورغم أن هذا الأمر غيبي؛ فإن الله تعالى، بَيَّن تلك الدواهي والأحوال؛ كأنها رأي العين، ثم كانت دعوة العقل؛ للنظر في المخلوقات الدالة على عظمة الله؛ ليحيا من حيّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة؛ فيكون المآل إلى الله، ثم الجزاء والحساب. وفي الحديث عن النعمان بن بشيرﷺ أن الرسول ﷺ كان يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية. قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضا في الصلاتين.(1) وفي رواية أخرى قال: كتب الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشيرﷺ يسأله: أي شيء قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة سوى سورة الجمعة؛ فقال كان يقرأ: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ".(2) ولا بد من مقاصد وراء تكرار تلاوتها والسورة التي قبلها في الجمعة والعيدين، منها:

1- تذكير المسلم بمعانٍ هامةٍ لا يصح أن تغيب عنه؛ كالحذر من التعلق والانشغال بالدنيا وترك العمل للآخرة؛ فالإنسان يحيا منهمكاً بدنياه، ناسياً الموت والحساب؛ لذا فضل الله أوقاتاً؛ نتفرغ فيها لعبادته، ومن ذلك يوم الجمعة وصلاة الجمعة والعيدين؛ حيث يكون المؤمن مهيأ النفس مستعداً لتذكر ما جاء في السور التي سنّ الإسلام قراءتها في تلك الأوقات؛ فيكون الأثر والنفع: (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى) [الأعلى: 9]، وتبقى المعاني حاضرةً في النفوس؛ فترتدع عن المعاصي والذنوب؛ كما يتضافر معها الأثر النفسي الكبير للخطبة؛ فهي عاملٌ هامٌ في تقويم السلوك والأخلاق.

2- أهمية ما ذكر في السورتين عن الحياتين؛ الدنيا والآخرة، مع المقارنة بين أحوال الناس وأصنافهم ومواقفهم من الحق، قال تعالى: "سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى... وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى "(1-14 الأعلى) وفي الغاشية: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ... وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ..."(1- 8) وكل ذلك بحاجة إلى تكرارٍ في العرض والبيان؛ لأن النفس تنسى وتضعف، والتذكير عاملٌ أساسٌ في تثبيت العلوم والمفاهيم الصحيحة التي تؤسس الإرادة والدافعية؛ في التربية الناجحة، فقد بينت الدراسات التربوية ضرورة تكرار التوجيهات والإرشادات؛ لترسخ في الأذهان فتمتثلها النفوس وتلتزمها.

3- التناسب والتلاؤم فيما جاء من بيانٍ في السورتين عن أحداث الساعة، والساعة تقوم يوم الجمعة، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة".(3) فالتناسب واضح بين ما سنّه رسول الله ﷺ من قراءة سورتي الأعلى والغاشية في صلاة الجمعة وما فيهما من أخبار الساعة، وموضوع الحديث النبوي عن قيام الساعة يوم الجمعة؛ لتذكّر بمعانٍ إيمانيةٍ وتربويةٍ تجعل الانشغال في الدنيا سبيلاً للنجاة في الآخرة.

4- وهناك مناسبةٌ بين سورتي الغاشية والكهف، وكما جاء في الحديث من الترغيب في تلاوتها يوم الجمعة، عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين".(4) وعنه عن النبي ﷺ قال: "من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة".(5) وللترغيب في قراءة سورة الكهف هدف آخر بالإضافة للأجر، يتصل بإرشاد المسلمين في هذه الحياة، فهي بما فيها من قصصٍ تبيّن؛ بل تبني منهجاً متكاملاً في حياة المسلم.والحديث في كلتا السورتين يركّز على أعظم ركنين (الإيمان بالله واليوم الآخر)؛ لما لهما من أثرٍ كبيرٍ في تقويم سلوكه وثباته على الحق؛ فكان لابد من دوام تذكير النفس بهما من خلال تكرار التلاوة والاستماع والتدبر. والملاحظ من خلال الأحاديث الشريفة، التوجيه لقراءة هذه السور التي بينها تناسبٌ والتقاءٌ على قضايا معينة، منه ما هو على المستوى الجماعي في صلاة الجمعة والعيدين، وما هو على المستوى الفردي؛ ليشمل التذكير جميع أفراد المجتمع، فيعم التقويم والتسديد كافة المؤمنين.

ثانياً: مناسبة السورة لما سبقها في ترتيب المصحف

السورة السابقة لسورة الغاشية هي الأعلى، وأول المناسبة بينهما ما كان يقرن بينهما الرسول ﷺ في تلاوتهما في الجمعة والعيدين؛ فحديث سورة الأعلى عن أصناف الناس تجاه من يُذَكِّرُهم؛ فمنهم من ينتفع بالذكرى، ومنهم من يصدّ ويعرض، ثم جزاء كلٍّ منهما يوم القيامة، ومن ذلك الصَّلي في جهنّم، قال تعالى: "الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى" (الأعلى: 12) وفي الغاشية: "تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً "وبيّنت سورة الأعلى حقيقةً تُشغل عن الآخرة، وهي إيثار الحياة الدنيا" بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا "فتأتي سورة الغاشية باستهلالٍ مشوقٍ حول ما يغشى الناس يوم القيامة، مما يدفع العاقل للمقارنة بين النموذجين، ثم اختيار الطريق الذي سيسلكه. قال البقاعي في المناسبة بينهما: (مقصودها شرح ما في آخر "سبّح" من تنزيه الله سبحانه عن العبث بإثبات الدار الآخرة التي الغاشية مبدؤها، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى والدلالة على القدرة عليها. لما ختمت "سبّح" بالحث على تطهير النفوس عن مُضرِّ الدنيا، ورغب في ذلك بخيرية الآخرة تارة، والاقتداء بأولي العزم من الأنبياء أخرى، رهب أول هذه من الإعراض عن ذلك مرة، ومن التزكي بغير

منهاج الرسل أخرى؛ فقال تعالى مذكراً بالآخرة التي حث عليها آخر تلك، مقررا لأشرف خلقه ﷺ؛ لأن ذلك أعظم في تقدير أتباعه، وأقعد في تحريك النفوس إلى تلقي الخبر بالقبول)[6].

أما مناسبتها مع سورة الفجر، وهي التالية لسورة الغاشية فـ(مقصودها الاستدلال على آخر الغاشية؛ الإياب والحساب، وأول ما فيها على هذا المقصود الفجر، بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس من غير فرق في شيء من الذات، وانبعاث النيام من الموت الأصغر، وهو النوم بالانتشار يفي ضياء النهار لطلب المعايش؛ للمجازاة في الحساب بالثواب والعقاب).[7] وأضيف؛ يمكن أن تكون المناسبة من جهةٍ أخرى، التأكيد الذي ختمت به سورة الغاشية من إياب الناس جميعاً إلى الله، وبعد ذلك جاء استهلال سورة الفجر بالقسم بأشياءٍ لها أهميتها في الحياة، ثم جاء الاستفهام التقريري؛ ليبين فخامة الأشياء المقسم بها." هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْر "[الفجر: 5] والحِجْر: العقل؛ لأنه يحجر صاحبه، أي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي. (يقال: إنه لذو حجر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها)[8] واختيار كلمة حجرٍ هنا أتت بمعنى يناسب موقعها أشد ما تكون المناسبة؛ لتنبيه المخاطبين، ولفت أنظارهم إلى ما وهبهم الله من عقولٍ؛ هل منعتهم عن عنادهم وإنكارهم للبعث؟ ثم الانتباه لشأن هام؛ فالدنيا ليست نهاية المطاف، ولا بد للظلم من نهايةٍ عندها يندم الظالم، ويفرح المؤمن.

ثالثاً: مزايا السورة الكريمة

1- التشويق من خلال استهلال السورة بالاستفهام؛ مما يثير حب الاستطلاع والمعرفة.
2- تناسب أحرف الألفاظ المستخدمة مع الحالتين الموصوفتين، استعلاءً واستفالاً؛ فهي في الأولى عند وصف عذاب الكافرين: خاشعة، ناصبة، تصلى، ضريع، بينما هي في الثانية، عند وصف نعيم المؤمنين: ناعمة، راضية، عالية.
3- مجيء الفاصلة باسم الفاعل فيما يتعلق بعذاب الكافرين: خاشعة، عاملة، ناصبة، حامية؛ فهي أسماءٌ تفيد دوام هذه الأحوال وعدم انقطاعها؛ لإشعار النفوس بالرهبة. ويقابل ذلك وصف نعيم المؤمنين: يومئذ ناعمة، راضية؛ لترغيب النفوس في الارتقاء والسمو. وجاء اسم المفعول في وصف نعيم الجنة؛ مرفوعة، موضوعة، مصفوفة، لبيان الحفاوة والتكريم في التهيئة والإعداد لمقام المؤمنين.
4- حرية الاختيار للإنسان، بعد تقديم الحجج والبراهين؛ فعلى كل نفسٍ أن تتأمل وتفكر؛ فتستخلص العبر وتقرر موقفها؛ وهذا الأسلوب في العرض من الأساليب التربوية الناجعة.

المبحث الأول: دواهي الغاشية

المطلب الأول: استهلال مؤثر

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ "الاستهلال بالاستفهام؛ للتشويق، فما هو نوع الاستفهام هنا: أهو للتقرير أم للتعجب؟ (استفهامٌ أريد به التعجب مما في حيزه، والتشويق إلى استماعه، والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلها الرواة، ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضرٍ وباد).[9] وقيل: الاستفهام هنا للتقرير وتعظيم المستفهم عنه.[10] ويظهر أن الاستفهام هنا يحتمل التعجب والتقرير؛ فحديث الغاشية وأهوالها يستحق أن يتعجب منه ويُعظَّم أمره، ومن ناحيةٍ أخرى؛ فالغرض البياني من الاستفهام التقريري إلزام المخاطب بالحجة.[11] وهو مقصود هنا. و{أَتَاكَ} أتى؛ يدل على مجيء الشيء وإصحابه وطاعته.[12] والإتيان مجيءٌ بسهولة، والإتيان يقال: للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير.[13]وثمة فرق بين الإتيان والمجيء، في استعمال القرآن؛ فكلمة جاء تسند غالباً إلى الجواهر والأعيان، وكلمة أتى تسند إلى المعاني والأزمان.[14] وجيء بصيغة الماضي؛ ليفيد تحقق الوقوع؛ فأمر الغاشية في المستقبل؛ لكنه في حكم الواقع؛ لأن الله قضاه وقدّره، وكاف الخطاب في {أَتَاكَ} للرسولﷺ للاهتمام فهو المخصوص بالوحي أولاً ثم الخطاب لكل مؤمن. و{حَدِيثُ} هو كون الشيء بعد أن لم يكن، والحديث كلامٌ يحدث منه الشيء بعد الشيء، وكل كلامٍ يبلغ الإنسان منه جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديث.[15] و{الْغَاشِيَةِ} كلمةٌ تدل في أصلها على تغطية شيءٍ بشيء، والغشاء الغطاء، والغاشية: القيامة؛ لأنها تغشى الخلق بإفزاعها.[16] (سميت القيامة بهذا الاسم؛ لأن ما أحاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاشٍ له، والقيامة كذلك من وجوه؛ الأول: أنها ترد على الخلق بغتةً وهو؛ كقوله تعالى: "أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ "[يوسف: 107] الثاني: أنها تغشى الناس جميعاً من الأولين والآخرين. والثالث: أنها تغشى الناس بالأهوال والشدائد).[17] ويظهر لي في هذا الاستهلال المشوق سراً يكمن وراء مداومة تلاوتها.

المطلب الثاني: ترهيب وترغيب

تقدّم لفظ الغاشية بإيحاءاته، وما يضفيه من أجواء، يفرضها على النفس البشرية؛ فهي حالةٌ تغشى الناس وكل المخلوقات؛ لذا جاءت الآيات بعد ذلك تتحدث عن أحوال البشر جميعاً عند وقوع الغاشية، بادئةً بالظالمين: " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ "(استئناف وقع جواباً عن سؤالٍ نشأ من الاستفهام التشويقي؛ كأنه قيل من جهته ﷺ: ما أتاني حديثها؛ فما هو؟ فقيل: وجوهٌ يومئذٍ؛ أي:

يوم إذ غشيت ذليلة)[18] والمقصود ذكر أنواع الوجوه يوم القيامة؛ فهناك وجوهٌ خاشعةٌ ووجوهٌ ناعمةٌ.(والوجوه كنايةٌ عن أصحابها، وحالة الوجوه تنبئ عن حالة أصحابها، إذ الوجوه عنوانٌ عمّا يجده صاحبه من نعيمٍ أو شقوة؛ كما يقال: خرج بوجهٍ غير الوجه الذي دخل به)[19] ولعل من وصفوا في الآية كانوا في الدنيا أصحاب وجاهة وكِبر؛ فكان جزاؤهم يوم القيامة إذلال وجوههم جزاءً وفاقاً. والخشوع من خشع، أصلٌ يدل على التطامن، يقال: خشع إذا تطامن وطأطأ رأسه، وهو قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في الصوت والبصر، قال تعالى: "خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ"[القلم: 43].[20]

"عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ "المراد أصحاب الوجوه؛ فهم يعملون يوم القيامة أعمالاً شاقةً متعبةً؛ كجر السلاسل والأغلال...، والصعود والهبوط في تلالها وهادها.[21] فالنَّصَب: التعب والعناء.[22] هذا حديث القرآن الكريم وتصويره لحال كلٍ من الفريقين؛ فلينظر المرء في كلام الله لينتفع بالتذكير، ويدخل تحت قوله تعالى: "سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى "[الأعلى: 10] ولا يكون ممن قال الله فيهم: "وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى" [الأعلى: 11]. ومما قيل في معنى: "عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ " أن المقصود ما عمله المجرمون في الدنيا من السيئات التي فرحوا والتذّوا بها؛ فكان نتيجة ذلك النصب والتعب في عذاب جهنم.وقيل: عملت وتعبت في الدنيا بأعمال لا تجديها، ولا تنفعها فهي محبطةٌ وغير مقبولة.[23] وهذه أقوالٌ تحتملها الآية الكريمة، ويظهر لي ترجيح الأول منها؛ لأنه الأنسب بالسياق، ولمجيء آيات تنفي النصب عن أصحاب الجنة يوم القيامة، قال تعالى: "لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِين" [الحجر: 48]؛ فهي الراحة المادية والمعنوية للمؤمنين، والتعب والعناء مادياً ومعنوياً للكافرين.وهو نصبٌ دائم لا ينقطع، وذلك ما تفيده صياغة الآية الكريمة بجملة اسمية.

"تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً "أي: تقاسي التحريق بين حِمم النار (قيل: المَصْلَى عند العرب: أن يحفروا حفيراً فيجمعوا فيه جمراً كثيراً، ثم يعمدوا إلى شاةٍ فيدسوها وسطه، فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو في التنور، فلا يسمى مصلياً)[24] إنه الصلي الدائم غير المنقطع، وهذا يؤكد ما جاء في سورة الأعلى: "الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى"(12) (متناهيةً في الحر)[25]. والحمي؛ الحرارة المتولدة من الجواهر المحمية؛ كالنار والشمس.[26] وحم، الحاء والميم فيه تفاوت؛ لأنه متشعب الأبواب جداً، فأحد أصوله اسوداد، والآخر الحرارة...؛ فأما السواد فالحُمم؛ الفحم... ومنه اليحموم؛ وهو الدخان، والحِمحِمُ: نبتٌ أسود، وكل أسود حمحم، ويقال حمَّمْته، إذا سخمت وجهه بالسخام؛ وهو الفحم.[27] فمن تدبر أصل الكلمة وفهم معانيها، يُدرك سر انتقائها هنا؛ لتوحي دلالاتٍ عن أحوال تلك الوجوه في النار؛ من شوي وحرق واسوداد بالدخان والفحم وما يتبع ذلك من شدائد.(وَكَانَ يَكْفِي تَصْلَى نَارًا. وَلَكِنْ إِتْبَاعُهَا بِوَصْفِهَا حَامِيَةً ; فَهُوَ زِيَادَةٌ فِي إِبْرَازِ عَذَابِهِمْ، وَزِيَادَةٌ فِي غَشَيَانِ الْعَذَابِ لَهُمْ)[28]

"تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ "(تُسْقى)الفعل مبني للمفعول، وهكذا تُذكَر الأفعال التي تتعلق بأحداث يوم القيامة؛ لينْصَبَّ الاهتمام على الحدث نفسه، ولا يُشْغَل القارئ أو السامع بالفاعل عن الحدث. تسقى، السقي والسقيا: أن يعطيه ما يشرب، والإسقاء أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء؛ فالإسقاء أبلغ من السقي؛ لأن الإسقاء هو أن تجعل له ما يسقى منه ويشرب، قال تعالى: " وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُم "[محمد: 12][29] و{ عَيْنٍ } في الأصل الجارحة، ويقال لمنبع الماء عينٌ تشبيهًا بها لما فيها من الماء. و{ آنِيَةٍ } صفة لعين، أي: حارة، أي: التي حرها متناهٍ في الحر؛ كقوله تعالى: "يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آن"[الرحمن: 44] أي: بلغ إناه في شدة الحر، ومنه قوله: "عَيْنٍ آنِيَةٍ".[30] ففي الآيات تصويرٌ يرعب النفس المؤمنة، التي لا تفتأ تتذكر، وتتعوذ من ذلك العذاب، الذي يذوقه أهل جهنم؛ حيث يتنقلون فيها بين الجحيم وسقيا الحميم. وكلمة آنية هنا، تختلف عن كلمة آنية في قوله تعالى: (بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ) [الإنسان] (آنية) في سورة الغاشية؛ الألف فيها أصل بنفسها، بخلاف كلمة آنية في سورة الإنسان فأصلها أَأْنِيَة؛ فالألف فيها بدل من همزة، إذ هو جمع إناء فوزنها هنا أفعلة، وهناك وزنها فاعلة؛ فاتحد اللفظ واختلف التصريف، وهذا من محاسن علم الصرف.[31] وهذا يؤكد دقة انتقاء اللفظ القرآني؛ ليعطي في كل آيةٍ إعجازاً وعظمةً، ويضيف معاني ودلالاتٍ لا حصر لها، ولينهل المؤمن من نبعه الصافي علوماً ومعارف لا نهاية لها؛ فيبقى هو الكتاب المبارك لمن تدبر آياته؛ فهذا حال أهل النار شويٌ وحرق يبحثون عن مهرب فإذا بسقيا الحميم، ثم "لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ " بهذا الأسلوب، أسلوب القصر، نفيٌ واستثناء، فهو أسلوبٌ بليغٌ، يفيد تخصيص أصحاب تلك الوجوه، الذين كانوا يتلذذون بأشهى أنواع الأطعمة، ويحرمون غيرهم، فإذا هم يُخصون بالضريع ههنا! فشتان بين حالٍ كانوا يتقلبون فيه في نعيم الدنيا، وحالٍ آلوا إليه لا يجدون ما يسد جوعهم إلا الضريع؛ فما هو الضريع الذي خُص به أولئك؟ إنه يبس الشِّبرِق، وهو جنسٌ من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطباً؛ فإذا يبس تحامته الإبل، وهو سمٌ قاتل. وجاء بيان طعام أهل النار في آياتٍ أخرى كقوله تعالى: "ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُون. لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّوم" [الواقعة: 51-52]،

وقوله تعالى: "فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيم. وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِين " [الحاقة: 35-36]. وبناءً على ما جاء في الآيات، قال المفسرون: إن المعذبين في النار في دركاتٍ متفاوتة، ولكلِ قسمٍ ما يستحقه من نوع عذابٍ أو طعام؛ فالضريع لبعض أهل النار، والزقوم والغسلين لآخرين بحسب استحقاقهم.(32) وأقول: قد يكون ذلك بياناً لأنواعٍ من الطعام في غاية السوء، يتنقل أهل النار بينها، عساهم يجدون ما يخفف عنهم شيئاً من العذاب، وإذا بكل صنفٍ أردأ من الآخر. "لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوع" أي: طعام أهل النار لا يسمن ولا يشبع، وهم مضطرون لأكله؛ فطعام أهل النار لا ينفعهم شيئاً؛ حيث تضطرم النار في أحشائهم؛ فيلجئون إلى طعامٍ يطفئها ويخرج ما فيها من اللهب، وكذلك الأمر بشأن عطشهم؛ فهم مضطرون عند أكل الضريع والتهابه في بطونهم إلى شيءٍ مائعٍ يطفئه من غير أن تكون لهم بذلك لذةٌ أو استفادة قوة ورواء.(33) وبعد هذا العرض لألوان العذاب المذل المحرق المقيم، يقف المتأمل في كتاب الله للتحري عن أؤلئك القوم ما سلكهم في سقر؟!، وكيف كان حالهم في دنياهم؟ ويحاسب نفسه؛ لئلا يؤول لذلك المصير. وأرى في البيان السابق سراً من أسرار تكرار تلاوة السورة؛ لتنفير المؤمنين من ذلك العذاب؛ فنستعيذ منه، ونجتنب ما يؤدي إليه.

وبعد بيان حال أهل النار بتلك الصورة المرعبة، تأتي الصورة المشرقة لحال أهل الجنة؛ فترى النعيم والتكريم في؛ فتبتهج النفوس، وتتقد العزائم، وتنطلق الطاقات أعمالاً صالحةً في الحياة." وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَة "(وقد قدم حكاية أهل النار؛ لأنه أدخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها؛ ولأن حكاية حسن أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكي حسناً وبهجة).(34) فالقرآن الكريم يختار الأنسب، والأشد تأثيراً في النفوس؛ لذا كان البدء بحكاية أهل النار، وتفصيل ما يلقونه من عذابٍ نفسيٍ وحسيٍ؛ لتنفير النفوس من حال أهل النار، ثم الابتعاد عما يؤدي إلى ذلك المآل. "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَة"؛ حديث عن أهل الجنة دون عطف على ما سبق؛ للإعلام بكمال التباين والبعد بين مضمونيهما.(35) وقال بعض العلماء: هنا حرف عطف مضمر، محذوف، والتقدير: ووجوه يومئذ...، قاسوا هذه الآية على آيات سورة عبس: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَة ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَة وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَة "(38-40) ولم أجد من المفسرين من بين الفرق بين الموضعين؛ فاستفدت من بيان الدكتور فضل عباس- رحمه الله-؛ حيث قال: (حينما ننعم النظر في الآيات في الموضعين نجد فروقاً بين الموضعين، ففي آيات عبس جاء العطف بالواو؛ حيث كان الحديث فيها مجملاً غير مفصل "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَة "وذلك؛ لأن ما قبل هذه الآية يستدعي إجابةً عن الفريقين، وهو قوله سبحانه: "لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه" [عبس: 37] وهذا بالطبع يشمل المؤمنين والكافرين معاً، ولا يخص فريقاً دون فريق، ولا بد من بيان حال الفريقين؛ فقال: "وُجُوهٌ... وَوُجُوهٌ..."، أما سورة الغاشية؛ فالأمر فيها يختلف اختلافاً كلياً؛ فالحديث في أول السورة كان عن فريق واحد، {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} وهذه التسمية تشير إلى ما يغشى أولئك المعرضين من العذاب، ثم يبدأ يفصل في شأن أولئك الذين يغشاهم العذاب؛ فبيّن وفصّل كثيراً من أحوالهم، وما يلقونه وما يصْلَوْنَه، وما نوع طعامهم، ولمّا انتهى من أمرهم، انتقل للحديث عن الفريق الآخر، وكانت روعة النظم وجودة السبك وفخامة المعنى تقتضي ترك العطف؛ لأنه لو عطف لكانت الغاشية للفريقين معاً؛ كما في قوله تعالى: "لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه"ولكن الأمر ليس كذلك كما سبق بيانه.إذن الحديث في أول السورة عن فريقٍ واحد؛ فلما انتهى من شأنه، جاء دور الحديث عن فريقٍ آخر لم يتحدث عنه من قبل؛ فكان من الأولى أن يكون الحديث عنه بطريق الاستئناف).(36)" نَّاعِمَة "من نعَمْ، نعمة، النون والعين والميم فروعه كثيرة، وهي على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدل على تَرَفُّهٍ وطيب عيش وصلاح. والنعيم؛ النعمة الكثيرة.يقال: نعمه تنعيماً فتنعم؛ أي: جعله في نعمة، أي: لين عيش وخصب، قال تعالى: "فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ "[الفجر: 15] وطعام ناعم، وجارية ناعمة.(37) وإما من النعومة، نَعِم الشيء، أي: صار ناعماً ليناً، أي: وجوه يومئذ ذات نعمة، والنعمة في حق الوجه البهجة والحسن؛ كقوله تعالى: "تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيم " [المطففين: 24]، أو من النعيم، أي: وجوه يومئذ متنعمة؛ فهم في تنعم وطيب حال في الجنة.(38) كلمةٌ قرآنيةٌ منتقاة، كم لها من أثرٍ في النفس المؤمنة لما جمعته من معاني لا توجد في غيرها، تبعث في النفس من السرور والبهجة ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولها دلالةٌ على الراحة والطمأنينة النفسية التي تنعكس على الوجوه، وهذا معروف ومعهود من أحوال الناس، فهي كلمة أعطت رسائل عدة، ولا تستقيم مكانها كلمةٌ أخرى، وهذا من الإعجاز البياني في القرآن الذي يظهر البلاغة القرآنية؛ ويترك أثره في النفوس التي تكابد في دنيا فانية، تبحث عن التنعم، وهيهات لها ذلك؛ فإذا سارت على نهج الحق، تهنأ بنعمة الإيمان، وتمضي الحياة سريعةً، ثم يكون نعيم الجنة السرمدي.

"لِسَعْيِهَا رَاضِيَة "لعملها الذي هداها الله إليه، ووفقها للسير عليه؛ فهي راضيةٌ حينما قطفت الثمرة المعنوية والمادية، وأصل السعي في كلام العرب، التصرف في كل عمل، والسعي: الكسب، وكل عمل من خيرٍ أو شرٍ سعي، والسعي المشي

السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شرا.[39] وأُلمح أن لاختيار كلمة السعي علاقةً بالزمن القصير الذي تحياه النفس في الدنيا؛ فتسير سيراً فيه مسابقة مع الزمن؛ للتزود مما تريد خيراً أو شراً؛ فكل إنسانٍ يسير ويسعى، ويغدو ويروح، وأذكر في ذلك قولهﷺ: (كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها).[40]

وقد علمنا القرآن أن سعي الإنسان نوعان: سعيٌ في البر والتقوى وهو المقبول عند الله: "وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا" [الإسراء: 19] والسعي الآخر سعيٌ بالإثم والعدوان؛ فيكون وبالاً على صاحبه: "وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ "[الحج: 51]؛ فهو التقابل بين نفسين تسعى كل واحدةٍ في اتجاهٍ يخالف الأخرى؛ فيكون الجزاء متبايناً متغايراً. وقوله: "لِسَعْيِهَا". اللام متعلقةٌ براضية، والتقدير: راضيةٌ بسعيها.ويجوز أن تكون لام التعليل، أي: لأجل سعيها في طاعة الله تعالى راضيةً جزاءه وثوابه.[41]وتقدم المعمول (سعيها) على العامل (راضية) فيه تبشيرٌ للنفس المؤمنة وإشعارها بجهدها المشكور، قال تعالى: "إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا" [الإنسان: 22][42]؛ فجزاء السعي الرضا والهناء، والحبور والسرور.

"فِي جَنَّةٍ عَالِيَة "الجنة، جنَّ: الجيم والنون أصلٌ واحد، وهو الستر والتستر؛ فالجنة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثوابٌ مستور عنهم اليوم، قال تعالى: "فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ "[السجدة: 17] والجنة من الاجتنان؛ وهو الستر؛ لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها.رضي الله عن المؤمنين؛ فأنزلهم المنزلة العالية مكاناً ومقداراً.[43] وعلو المقدار: الارتفاع المعنوي، أي: ارتفاع الدرجة والمكانة والرتبة، والإنسان بفطرته يحب العلو والارتقاء، والله تعالى يُنْعِم على المؤمن بالجنة العالية، ولنتذكر ما يقابل ذلك من نصب الكفار وسخطهم، وهبوطهم في دركات النار. والمرء بطبعه يسعى للعلو والارتقاء، ولكن شتان ما بين علوٍ في الدنيا وعلوٍ يوم القيامة؛ فالواجب على المؤمن أن يسعى بهمة للدرجات العالية في الجنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ: (وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ).[44] فإذا سأل المؤمن ربه الفردوس الأعلى، اندفع للعمل الصالح راجياً رضا ربه ونوال ثوابه؛ فبمقدار علو الهمة تعلو المنزلة. ويناسب وصف الجنة بالعلو والرفعة، وصف أصحابها برفعتهم عن لغو الكلام؛ فقال جل شأنه: "لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَة "أي: المخاطب، أو الوجوه، أي أصحابها؛ فالضمير يعود إلى إلى الوجوه.[45] وقوله: "لاَغِيَة" أي: لغواً؛ فجعل اسم الفاعل وصفاً للكلام، واللغو: السقط ومالا يعتد به من كلامٍ وغيره، ولا يحصل منه على فائدةٍ ولا نفع، وكلمة لاغية، فاحشة أو قبيحة، واللاغية واللواغي بمعنى اللغو.[46] وقد علّمنا القرآن صفات المؤمنين في الدنيا وبيان حالهم في مجالسهم؛ فهم يعرضون عن اللغو، ويترفعون عن مجالسه وأماكنه، "وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون" [المؤمنون: 3]؛ فإذا كان سمتهم في الدنيا الانشغال بذكر الله وطاعته، والترفع عن اللغو والمهاترة؛ فإن حالهم في الجنة أسمى وأعلى.[47] فهنيئاً لأصحاب الجنة هذا الرقي في مراعاة المشاعر والأحاسيس؛ بحيث لا يسمعون ما يعكر صفوهم، أو يؤذي مسامعهم، والجزاء من جنس العمل. وبعد ذلك يأتي وصف النعيم المادي المحسوس في الجنة تقريب للأذهان، وإلا فالنعيم أعظم من أن تتصوره النفوس، "فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ" [السجدة: 17] وفي الحديث القدسي: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر).[48] "فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَة "مقابل ما مر "تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَة " فشتان ما بين الحالين!وعين، اسم جنس؛ أي: عيون كثيرة تجري مياهها؛ فالتنكير؛ للتكثير. وقيل: يجري ماؤها ولا ينقطع، وعدم الانقطاع يستفاد: إما من وصف العين؛ لأنها الماء الجاري، فوصفها بالجريان يدل على المبالغة؛ كما في قوله تعالى: "نَارًا حَامِيَة"؛ فالتنكير يفيد المبالغة. وإمّا من اسم الفاعل؛ فإنه للاستمرار بقرينة المقام، والتنكير للتعظيم، أي: رفعة شأنها من حيث إنها تجري من غير أخدود جرياً لا ينقطع، وتجري لهم حيث أرادوا إجراءها، وماؤها أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل.[49] وكل ذلك من نعيم الجنة. والجري: المر السريع، وأصله كمر الماء، ولما يجري بجريه.[50] (والماء الجاري إذا كان من الينابيع يكون في العادة بارداً صافياً، لهذا وصف العين بالجارية، ثم في منظر الماء الجاري من مسرة النفس ما هو معلوم).[51]

"فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَة" وكل ما سبق من وصف يبعث في النفس السرور، ثم يأتي الحديث عن السرر، وهو لفظ له علاقة بالمسرة والسرور في أصل الكلمة، والسرر جمع سرير، وهو المضطجع، أو ما يجلس عليه، وفيه استقرار ودعة،[52] "مَّرْفُوعَة "رفعه فارتفع، أي: (عالية إلى جهة الفوق، فإن السمك

هو الامتداد الآخذ من أسفل الشيء إلى أعلاه، إذا جلس المؤمن عليها يرى جميع ما أعطي له في الجنة من الملك والنعيم. أو رفعة قدرها من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال في ذواتها وأوصافها).[53]

"وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ" الكوب هو الكوز الذي لا عروة له،[54] فهم في سررهم، في البهجة والنعيم، والأكواب"ٺ"، أي: بين أيديهم، فالوضع ضد الرفع، يدل على الخفض للشيء وحطه.[55] وشتان بين من يستجد لشربة ماءٍ؛ فيُسقى من عينٍ آنية، وبين من تُهيَّأ له الأكواب؛ ليشرب ما فيها مما لذ وطاب. وهناك أكواب تطوف بها الملائكة: "بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ" [الواقعة: 18] والإبريق: الإناء الذي له عروة، والكأس: الإناء بما فيه من الشراب.[56] فالأكواب فارغة، والكؤوس مملوءة، وكذلك الأباريق؛ فإذا طاف الولدان الحسان بها على أصحاب الجنة، طلب المؤمن مايشتهي؛ فتقدم الولدان تلك الأكواب مملوءةً بالشراب اللذيذ الطيب." يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِين "[الصافات: 45].

"وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ "نمارق، جمع نمرقة بالفتح والضم، وهي الوسادة.[57] "مَصْفُوفَةٌ "صفّ بعضها إلى بعض، للاستناد إليها، والاتكاء عليها.[58] صفّ: استواء في الشيء وتساوٍ بين شيئين في المقر.[59]

"وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ "زرابي جمع زُرْب، واحدها زَرِبْية، وهي نوع من الثياب محبرةٌ منسوبةٌ إلى موضع، ثم استعيرت للبسط؛ فهي البسط الفاخرة[60]." مَبْثُوثَةٌ" أي مبسوطة، بثّ الشيء والخبر يبثه وبثه فانبث، فرقه فتفرق، وبثت البسط إذا بسطت.[61] فهي أنواعٌ من البسط الفاخرة، مبسوطةٌ في المجالس للمؤمنين، وهاهي أنواع النعيم أعدها الله للمؤمنين.

ويلاحظ على حروف الكلمات التي تحدثت عن الجنة، السلاسة والاسترسال، والنعومة والاستفال، تتوسطها أحرف المد؛ لتضفي على ساكنيها الفرح والسرور وراحة البال. وقد جاء وصف الجنة ونعيمها في القرآن بأحلى الصور، وأعذب الألفاظ، وأسمى المعاني، وأكمل الأوصاف؛ ترغيباً للمؤمنين في السعي لرضوان ربهم، وهو حديثٌ محببٌ ومشوقٌ، وهذا سر آخر للتلاوة المستمرة؛ فيبقى الشوق للنعيم السرمدي يحدو بالنفوس الصالحة؛ فتجتهد في ابتغاء مرضاة الله دوماً.

المبحث الثاني: حث وتحضيض

المطلب الأول: دعوة تفكر وتأمل

وبعد ذلك التفصيل لأحوال الناس يوم القيامة، والاستحواذ على المشاعر، تستأنف الآيات؛ لتنبيه الإنسان من غفلته، بدعوته للنظر والتأمل في الآيات المبثوثة حوله؛ فيزداد المؤمن إيماناً، ولعل الآخر يعود إلى رشده ونداء فطرته؛ فيؤمن بربه ويخشاه.

"أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ" (الهمزة هنا تفيد الاستفهام الإنكاري والتوبيخي، والفاء للعطف على مقدرٍ يقتضيه المقام، أي: أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه، ويستبعدون وقوعه من قدرة الله، فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم، كيف خلقت خلقاً بديعاً...).[62] وصيغة الاستفهام: "أَفَلاَ يَنظُرُونَ "جاءت في هذا الموضع فقط، وقرنت بالإبل؛ للإشعار بشدة التوبيخ؛ لإنكارهم البعث مع مشاهدتهم عظيم خلق الله في نعمٍ سخرها لهم في قلب صحرائهم، ثم يكفرون؟! والاستفهام بالهمزة مع الفعل المضارع يفيد الاستمرارية، وفي الآية حث وتحضيض على النظر في خلق الله، ومما يشعر بذلك مجيء الأفعال مبنيةً للمفعول: {خُلِقَت}، {رُفِعَت}؛ والتأمل فيما يُرى من عظيم قدرة الله، يثمر الاستجابة للحق، والاستفهام من الأساليب التعليمية التربوية، وقد جاء في مواضع كثيرة؛ لإثارة التفكير؛ منها: " أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ..." (الأعراف: 185) والنظر تقليب البصر والبصيرة؛ لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرَّوِيَّة، يقال نظرت إلى كذا، إذا مددت طرْفك إليه رأيته أم لم تره، ونظرت فيه إذا رأيته وتدبرته.[63] والإبل يقع على البعران الكثير، ولا واحد له من لفظه، وهو اسم جمع، مفرده بعير وناقة، وجمل. وهو مؤنث؛ ولذلك تدخل عليه تاء التأنيث عند تصغيره؛ فيقال: أبَيلة، ويجمع آبال.[64] والخَلْق، أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، والخلق بمعنى الإبداع ليس إلا لله تعالى، ولهذا قال في الفصل بينه وبين غيره: "أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُون" [النحل: 17].[65] وآية خلق الإبل فيها دقائق عجيبة، وستبقى كذلك، وقد سمعنا في وقتنا الحاضر أن لبن الإبل له علاقة بالعلاج من أمراضٍ كثيرة، ويستخدم في الطب العربي. (وناسب التنبيه بالنظر إليها وإلى ما حوت من عجائب الصفات، ما ذكر معها من السماء والجبال والأرض، لانتظام هذه الأشياء في نظر العرب في أوديتهم وبواديهم، وليدل على الاستدلال على إثبات الصانع، وأنه ليس مختصاً بنوعٍ دون نوع، بل هو عامٌ في كل موجوداته؛ كما قيل: وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدل على أنه الواحد)[66].

"وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَت "(سماء كل شيءٍ: أعلاه والسماء المقابل للأرض مؤنث، وقد يُذَكّر، ويستعمل للواحد والجمع)[67] وقد رفع الله تعالى السماء رفعاً بعيد المدى بلا عمادٍ ولا مِساك؛ بحيث لا يناله الفهم والإدراك[68]؛ فلله الفضل والمنة لرفعه

السماء وتزيينها؛ لتطمئن النفوس وتستمتع بالجمال والزينة، ثم ما يكتشفه العلماء من قضايا، تُظهر فضل الله الكريم في تسخير الكون مما يدفع العاقل للإيمان وتعظيم الخالق سبحانه.

"وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ "الجبل اسمٌ لكل وتدٍ من أوتاد الأرض إذا عظم وطال، والجمع أجبل وأجبال وجبال.[69] والنَّصْبُ: إقامة الشيء ورفعه، ووضعه وضعاً ناتئاً.[70] فها هي الجبال حولهم ينزلون في أقطارها، وينتفعون[71] بينابيعها، والأشجار التي تنمو في سفوحها، وهوائها العليل، وجمال منظرها، وقد جعلها الله تعالى رواسي لحفظ الأرض أن تميد وتتحرك، وقد اكتشف العلم الحديث الكثير من الحقائق العلمية التي أشار لها القرآن فيما يتعلق بالأرض والجبال.

"وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ"؛ فهي أرضٌ بسطها الله ومهدها للضرب فيها والعيش عليها، وهي مسخرة للإنسان؛ فالمعنى الإجمالي للآيات: (أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور؛ ليرجعوا عمّا هم عليه من الإنكار والنفور ويسمعوا إنذارك ويستعدوا للقائه بالإيمان والطاعة).[72] وقد ذُكر في كتب التفسير حول نسق الآية وفي تناسب هذه الأمور وجوه؛ منها: 1- القرآن نزل بلغة العرب؛ يخاطبهم بحسب ما هو مركوز في خيالهم، وجل هممهم مصروفة بشأن الإبل؛ فمنها يأكلون ويشربون، ومن أصوافها وأوبارها ينتفعون، وعليها يُحملون؛ فحيث أراد الله أن ينصب لهم دليلاً من مصنوعاته يمكنهم أن يستدلوا به على كمال حكمة الصانع ونهاية قدرته لم يكن شيء أحضر صورة في متخليهم من الإبل؛ فهي من أعاجيب مخلوقات الله صورة وسيرة. 2- أصحاب المواشي؛ لاحتياجهم الشديد إلى الماء المستعقب للكلأ، صار جل نظرهم إلى السماء التي منها ينزل المطر، ثم إلى الجبال التي هي أقرب إلى السماء وأسرع لوقوع المطر عليها، وحفظ الثلج الذي منه مادة العيون والآبار، وهي مأمنهم ومسكنهم غالباً. ثم إلى الأرض التي فيها ينبت العشب وعليها متقلبهم ومرعاهم؛ فثبت أن الآية نُظمت حسب ما انتظم في خزانة خيال العرب بحسب الأغلب.[73] (إن هذه المشاهد لتوحي إلى القلب شيئاً بمجرد النظر الواعي والتأمل الصاحي، وهذا القدر يكفي لاستجاشة الوجدان واستحياء القلب، وتُحَرِك الروح نحو الخالق المبدع لهذه الخلائق. ونقف وقفة قصيرة أمام جمال التناسق التصويري لمجموعة المشهد الكوني؛ لنرى كيف يخاطب القرآن الوجدان الديني بلغة الجمال الفني، وكيف يعتنقان في حس المؤمن الشاعر بجمال الوجود.).[74]

أقول: إن القرآن الكريم لم ينزل للعرب فحسب؛ وإن هذه الخلائق التي يُدْعى للتمعن والنظر فيها، تتداخل في حياة كل الناس اليوم – لاسيما– مع تطور وسائل الإعلام؛ فهي دعوةٌ مفتوحةٌ للناس كافة؛ للتأمل في الكون، مستخدمين التقنيات الحديثة؛ لازدياد الإيمان، وهو ما حصل مع كثيرٍ من العلماء اليوم؛ فكأني أرى النظر في الإبل، يرشدنا إلى علوم الأحياء، والنظر في الجبال والأرض، يشير إلى علم الجغرافيا والجيولوجيا، والنظر في السماء؛ يوجه إلى علم الفضاء والفلك... والخطاب والأمر بالنظر لكل العقلاء، وهم مدعوون للوصول إلى الإيمان من خلال المنهج القرآني في لفت الأنظار وجذب الانتباه للآيات الكونية المرئية في البيئة المعتادة؛ فإذا انتبهوا وتدبروا النص القرآني، وجدوا ما يقنع عقولهم، ويؤثر في وجدانهم؛ فيهديهم إلى الرشاد والسداد، ولعل هذا التوجيه إلى التأمل والتفكر في الكون مقصد قرآني علمي تربوي لا بد من دوام التذكير به؛ وهو سر وراء تكرار تلاوة السورة في الجُمع والعيدين.

المطلب الثاني: وظيفة وتطمين، وعيد وتهديد

وبعد استعراض الآيات المبثوثة في الكون، وما يجده الإنسانِ في أعماق نفسه وعقله، من آثار بديع صنع الله، وما سخره له، وبعد كل ما سبق من وترهيبٍ، وترغيبٍ، وحثٍ للنظر والتأمل؛ فيتفاعل بعض الناس مع آيات الله المقروءة والمبثوثة، ويمضي البعض في غيِّه مكابراً معانداً؛ فتأتي الحاجة إلى من يتولى الدعوة إلى الله، والمتمثل بالرسول الكريم ﷺ في المقام الأول، وقد أوضحته الآيات الكريمة: "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر" (الفاء لترتيب الأمر بالتذكير على ما ينبيء عنه الإنكار السابق من عدم النظر، أي: فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم، ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون).[75] والذكر: (الحفظ للشيء تذكره... وأذْكَرَه إياه: ذكَّره، والاسم الذكرى... يكون الذكرى بمعنى الذكر، ويكون بمعنى التذكر في قوله تعالى: "وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِين "[الذاريات: 55] والذكر والذكرى نقيض النسيان)[76]؛ فكل من غفل عن النظر في الآيات الكونية؛ فهو في حالة نسيان لا بدّ من تذكيره، وتنبيهه؛ فما على الداعي إلا البلاغ؛ " إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر": قصرٌ وحصرٌ لوظيفة النبيﷺ في قيامه بالتذكير؛ كقوله تعالى: "إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ" [الشورى: 48] والقصر هنا قصرٌ موصوفٌ على صفة. و(إنما) مع إفادتها القصر؛ تفيد التعريض بمن لا يتذكرون.

"لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِر" تثبيتٌ وتحقيقٌ لمعنى الإنذار، أي: لست بمسلطٍ عليهم. (قرأ هشام {بمسيطر} بالسين، وحمزة بخلافٍ عن خلاد بين الصاد والزاي، والباقون بالصاد خالصة).[77] (والمسيطر، والمصيطر: المسلط على الشيء؛ ليشرف ويتعهد أحواله ويكتب عمله).[78] وقال الراغب: (فإنه

يقال تسيطر فلانٌ على كذا، وسيطر عليه إذا أقام عليه قيام سطر، يقول: لست عليهم بقائم).[79] وعند بيانه معنى كلمة صيطر، قال: (أي: متولٍّ أن تكتب عليهم وتثبت ما يتولّونه)[80] أي: لست بمتسلطٍ عليهم تجبرهم على ما تريد؛ كقوله تعالى: "وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيد" [ق: 45][81]؛ فواجب الداعي التذكير والبيان فحسب؛ أما النتيجة؛ فليس بمسئولٍ عنها، والله عز وجل يتولّى من أعرض؛ فتأتي الآيات التالية بالتهديد والوعيد." إلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَر" (استثناء منقطع؛ أي لكن من تولى منهم؛ فإن لله الولاية والقهر).[82] وتولّى هنا؛ بمعنى أعرض عن الحق وأدبر. (والفعل تولّى إذا عدّي بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله في أقرب المواضع منه، يقال: ولّيت سمعي كذا..." فَوَلِّ وَجْهَكَ "[البقرة: 144]، وإذا عدّي بعن، لفظاً أو تقديراً؛ اقتضى معنى الإعراض وترك قربه..." إلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَر "والتولّي قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار).[83] وهؤلاء الكفار قد وقع منهم الإعراض والإنكار؛ فاستحقوا الوعيد والتهديد بتعذيبهم: "فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ" هو عذاب جهنم؛ فالذي يتولى ويصد عن الحق يستحق العذاب الأكبر الذي تحدّثت عنه آياتٌ أخرى؛ كقوله تعالى: "وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ" [الزمر: 26].

وقبل الانتهاء من حديث الغاشية، الذي ملأ الروح والوجدان؛ فلا بد من نهايةٍ وحسابٍ بين يدي الله؛ "إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ" تعليلٌ لتعذيبه بالعذاب الأكبر؛ حيث إن رجوع الكفار بموتهم، ثم بعثهم إلى الله وحده لا إلى أحد سواه؛ فهو سبحانه يحاسبهم ويعاقبهم. والأوب: الرجوع، آب إلى الشيء رجع. عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أقبل من سفرٍ قال: (آيبون تائبون، لربنا حامدون).[84]

وقرأ أبو جعفر {إيّابهم} بتشديد الياء وقرأ الباقون بتخفيفها.[85] (على أنَّه فِيْعَالٌ مصدرُ فَيْعَلٍ من الإيابِ، أو فِعَّالٌ من أَوَبَ؛ كفِسَّارٍ من فَسَرَ)[86]؛ وأرى أن القراءة بتشديد الياء؛ تفيد التأكيد للمعاندين والمكابرين، بأنهم راجعون إلى خالقهم في يوم لا ريب فيه، تهديداً وتخويفاً؛ فالرجوع إلى الله حقيقةٌ واقعة. وتقديم الخبر؛ "إِلَيْنَا" و"عَلَيْنَا" مع اقترانه بنون العظمة، فيه إشعارٌ بقوة الله وقدرته، على فعل ما يريد بهؤلاء المعاندين؛ فلن يفلت منهم أحدهم؛ قال تعالى: "لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" [الكهف: 48]. وجاء الضمير مفرداً في قوله تعالى: "فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ"؛ لإظهار ضعف الإنسان أمام قوة الله تعالى.

"ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم"؛ فمن مقتضى الحكمة؛ بعث الله الناس وحشرهم لمحاسبتهم، والحساب والحسابة: عدل الشيء، والحساب استعمال العدد، فالحساب عدٌّ وإحصاءٌ لكل قولٍ أو عملٍ يصدر عن الإنسان.[87] فهو يُكْتب في سجل أعماله؛ ليُحاسب عليه أمام الله؛ فأيّ كلامٍ أبلغ أثراً من هذا الكلام؟ ويشتد وقع المعنى؛ لاجتماعه مع حرف العطف "ثُمَّ"، التي تفيد بُعْدَ منزلة الحساب في الشدة،[88] (وثمّ للتراخي في الرتبة لا في الزمان؛ فإن الترتيب الزماني بين إيابهم وحسابهم، لا بين كون إيابهم إليه تعالى، وحسابهم عليه تعالى، فإنهما أمران مستمران).[89] فـ "ثمّ" في الآية للتراخي الرتبي، لا التراخي الزماني، ولو كانت للتراخي الزماني لاختلفت صياغة العبارة؛ فيقال: سيرجعون ثمّ يحاسبون؛ فيكون زمن الرجوع أوّلاً ثمّ زمن الحساب. ولكن الآيات لم تتحدث عن الإياب وحده والحساب وحده؛ بل تحدثت عن الإياب بكونه مقيَّداً إلى الله، والحساب كذلك عليه وحده؛ فيكون الفرق في الرتبة بين الإياب إلينا، والحساب علينا. فرتبة الإياب غير رتبة الحساب؛ فالحساب هو المرحلة الفاصلة يوم القيامة؛ فالإياب إلى الله والحساب على الله، أمران مستمران لا انفصال بينهما زمنياً.[90] وتصدير الآيتين بإن "إِنَّ إِلَيْنَا" ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا..." وتقديم خبرهما: إلينا، وعلينا، والعطف بثمّ، كل ذلك يفيد المبالغة في الوعيد بشدة الحساب، وفيه إنباءٌ عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب على الكافرين.[91]

خاتمة البحث: نتائج وتوصيات

انتهيت من البحث في سورة يختلج حديثها أعماق النفوس، من البدء حتى الختام؛ فالغاشية ترهب بأهوالها، وبقربها ثمّ شدّة حسابها؛ لكنها لامست شغاف القلوب بنعيم الجنة الأخّاذ لمن سعى وأجاد؛ كما أنها أخذت العقول والألباب؛ للتفكر في عظيم خلق الله الكبير المتعال؛ فقد توصلت بعد التأمل والتدبر وضمن جهدي البشري القاصر إلى نتائج هي:

1- التوصل لدلالات تكرار تلاوة السورة في صلاة الجمعة والعيدين، وتأثيرها الوجداني على النفس؛ فهي من كلام الله الذي كلما أقبل عليه المؤمن، أغدق عليه، والمداومة على استماع وتلاوة وتدبر آيات هذه السورة؛ ، تشحن النفس بالتربية الإيمانية الوجدانية؛ وتتصل بحياة المسلم وسلوكه؛ تقويماً وإصلاحاً، فيحيا بين الخوف والرجاء.
2- استنباط وجه المناسبة بين السور الذي لها علاقة بموضوع البحث، وميزات سورة الغاشية؛ ثم دلالات من نظم آيات السورة، يعد من ثمرات التدبر التي دعا إليه القرآن الكريم للارتقاء في درجات العلم والإيمان والدعوة للحق.

التوصيات

1- إن لكل سورة في القرآن وجه مناسبة مع أختها، ومحوراً تدور

حوله آياتها، ومقصداً ترمي إليه، ويتوصل الباحث لذلك بعد التدبر وإنعام النظر، وهو أمرٌ اجتهاديٌ؛ ومجالٌ رحبٌ للباحثين يتوصلون من خلاله لاستنباطات تربويةٍ علمية.

2- القرآن الكريم كتاب الله الذي ينهل منه الباحثون، كلٌ حسب اختصاصه؛ ومن ذلك الوقوف على معاني النظم القرآني ودلالاته؛ ومنها مواضع الاستفهام في القرآن الكريم.

وقد اقتصرت في هذا البحث على ما اقتضاه المقام، رغم أن النفس في شوقٍ للتوسع، وأسأل الله تعالى أن ييسر لي دوام الصلة بكتابه العزيز؛ إنه السميع المجيب وﷺ وبارك على سيّد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

الهوامش

(1) مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة، رقم الحديث 2065، 15/3.
(2) المرجع السابق، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، رقم الحديث 2067، 16/3.
(3) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، 141/6.
(4) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الجمعة 249/3، ط1. قال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح 2175: حديث حسن.
(5) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب فضائل القرآن، 564/1، قال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، 2651، 150/6.
(6) البقاعي، نظم الدرر، 22/1، ط1، 1415هـ/1995.
(7) المرجع السابق، 21/22.
(8) الألوسي، ينظر روح المعاني، 3336/15. ط1، 1415هـ/1994م.
(9) أبو السعود، ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 863/5.
(10) زادة، ينظر حاشية زادة على تفسير البيضاوي، 652/4. الشهاب، حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، 581/8.
(11) عباس، ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، 193، ط1409هـ/1989.
(12) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، 55، ط3.
(13) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن. ابن منظور، ينظر لسان العرب، 12/14، ط1، 1410هـ/1990.
(14) عباس، إعجاز القرآن، 177. ط1، 1991م.
(15) ابن فارس، 253.
(16) ينظر: ابن فارس، 816.
(17) فخر الدين الرازي، مفاتح الغيب، 138/31.
(18) أبو السعود، 5 /863. ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 510/8.
(19) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 262/3، مؤسسة التاريخ، ط1، 1420هـ/2000.
(20) ينظر: ابن فارس، 316، الراغب، 148.
(21) الطبري، ينظر: جامع البيان، 382/2. ط1، 1420هـ.
(22) الراغب، 494. ابن فارس، 1030.
(23) ينظر: الطبري، 385/24. الزمخشري، 741/4. أبو السعود، 5 /864. الألوسي، 325/15. عبده، محمد. تفسير جزء عم 29، ط1، 1400هـ.
(24) الكشاف الزمخشري، 742/4.
(25) أبو السعود، 864/5.
(26) ينظر: الراغب، 132.
(27) ينظر: ابن فارس، 247. الزمخشري، أساس البلاغة، 143.
(28) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 510/15.
(29) ينظر: الراغب، 236، ابن فارس، 484.
(30) ينظر: الراغب، 29. أساس البلاغة، الزمخشري، 230.
(31) ينظر: السمين الحلبي، 766/10.
(32) الخازن، ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، 221/4.
(33) ينظر: أبو السعود، 4 /865.
(34) أبو السعود 865/4.
(35) ينظر: أبو السعود، 5 /865.
(36) عباس، إعجاز القرآن المجيد. فصل، الحذف والزيادة في القرآن، مخطوط.
(37) ينظر: الراغب، 499. ابن فارس، 1035. لسان العرب. مادة نعم، 579/12.
(38) ينظر: الزمخشري، 743/4. البيضاوي، أنوار التأويل وأسرار التنزيل، 483/5.
- حاشية زادة، 652/5. حاشية الشهاب، 583/8. أبو السعود، 865/5. الألوسي، 327/15. ابن عاشور، 265/30.
(39) ينظر: ابن منظور، 385/4. الراغب، 233/1.
(40) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الوضوء، رقم الحديث556، 140/1.
(41) حاشية الشهاب، 582/8. حاشية زادة، 652/5. الألوسي، 327/15.

(42) ينظر: ابن فارس، 406.
(43) ينظر: ابن فارس، 200. ابن منظور، 100/13. الراغب، 98. البيضاوي، أنوار التأويل وأسرار التنزيل.
(44) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله.حديث رقم: 2637.
(45) ينظر: الطبري، 104/3، أبو السعود، 865/5. حاشية زادة، 652/5. الشهاب، 583/8. الألوسي، 327/15.
(46) ينظر: الراغب، 451. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 33/20. ط1، 1420هـ.
(47) النسفي، ينظر: تفسير النسفي، 352/4، والتفاسير السابقة.
(48) البخاري، كتاب بدء الخلق. باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (3244). صحيح مسلم. أول كتاب الجنة وصفة نعيمها/ 2174.
(49) ينظر: أبو السعود، 865/5. الزمخشري، 743/4. أبو حيان، 463/10. ابن عاشور، 267/3. حاشية الشهاب، 585/8. حاشية زادة، 652/5. الألوسي، 328/15.
(50) ابن منظور، 141/14. ينظر: الراغب، 92.
(51) محمد عبده، جزء عم /29.
(52) ينظر: الراغب، 229. ابن فارس، 478. ابن منظور، 361/4.
(53) حاشية الشهاب، 583/8. حاشية زادة، 653/5.
(54) ينظر: الراغب، 443. ابن منظور، 729/1.
(55) ابن منظور، 396/8. ابن فارس، 1094.
(56) ينظر: الراغب، 443. ابن منظور، 17/10. القرطبي، 25/20.
(57) ينظر: الفراء، 258/3. ابن منظور، 361/10. ابن فارس، 1051.
(58) ينظر: السمين الحلبي، 769/10. أبو السعود، 865/5. الألوسي، 328/15.
(59) ابن فارس، 562.
(60) الراغب، 212.
(61) ابن منظور، 114/2. السمين الحلبي، 770/10.
(62) أبو السعود، 860/5.
(63) ينظر: الراغب، 497.
(64) ينظر: الراغب، 8. ابن منظور11، /3. السمين، 770/10. القرطبي، 25/20.
(65) الراغب، 157.
(66) أبوحيان، 464/10. ينظر الزمخشري، 744/4. الرازي، 158/16.
(67) ينظر: الراغب، 243.
(68) ينظر: أبو السعود، 866/5. الألوسي، 329/15. الرازي، 158/16.
(69) ينظر: ابن منظور، 96/11.
(70) ينظر: ابن منظور، 1 /760. الراغب، 494.
(71) ينظر: أبو السعود، 866/5.
(72) ينظر: أبو السعود، 866/5.
(73) النيسابوري، ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان. 492/6، ط1، 1416هـ.
(74) في ظلال القرآن، 3899/6. قطب، ط4، 1394هـ.
(75) أبو السعود، 866/5. الألوسي، 331/15.
(76) ابن منظور، 4/ 308. ينظر الراغب، 179.
(77) ابن الجزري، 611. ينظر، القباقبي، إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة /677، ط1424هـ.
(78) ابن منظور، 4/ 364.
(79) الراغب، 232.
(80) المرجع السابق، 280.
(81) أبو السعود، 866/5.
(82) أبو السعود، 866/5. الألوسي، 330/15.
(83) الراغب، 534. ينظر ابن منظور، 414/15.
(84) ينظر: مسند الإمام أحمد. الأحاديث، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.
(85) ينظر: ابن الجزري/611. العكبري 154/2.
(86) أبو السعود 866/5.
(87) ينظر: ابن منظور 313/1. الراغب /116.
(88) ينظر: أبو السعود 866/5.
(89) أبو السعود 866/5.
(90) إفادة من أستاذي د. فضل رحمه الله.
(91) ينظر: أبو السعود 866/5.حاشية زادة، 654/5.

المصادر والمراجع

أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط، القاهرة.

الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت.

الألوسي، محمود ابن عبد الله، روح المعاني، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، 1407هـ، دار الشعب، القاهرة.

البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التأويل وأسرار التنزيل، دار الفكر، بيروت.

البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، نظم الدرر، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

البيهقي، أحمد بن حسين، السنن الكبرى، 1347هـ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند.

التبريزي، محمد بن عبد الله، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1405هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن علي، تحقيق أحمد القضاة، 1421هـ، تحبير التيسير في القراءات العشر. دار الفرقان، عمان.

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت.

أبو حيان، محمد بن يوسف، 1412هـ، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت.

الرازي، محمد بن عمر، 1414هـ، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت.

زادة، محيي الدين شيخ، حاشية زادة على تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا.

أبو زرعة، عبد الرحمن بن زنجلة، حجة القراءات، 1399هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن،1408هـ،دار الكتب العلمية، بيروت.

الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت.

الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، 1406هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر، بيروت.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 1407هـ، دارالقلم، بيروت.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 1415هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الشهاب، أحمد بن محمد بن عمر، حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.

الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، 1420هـ، جامع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 1420هـ، مؤسسة التاريخ.

عباس، فضل حسن، 1991م، إعجاز القرآن، دار الفرقان، عمان.

عباس، فضل حسن، علم المعاني، 1409هـ، دار الفرقان، عمان.

عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن المجيد، مخطوط

العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، الطبعة السلفية.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، إملا ما منّ به الرحمن من وجوه القراءات والإعراب في القرآن، دار العلم، بيروت.

ابن فارس، أحمد بن فارس، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، معجم المقاييس في اللغة، 1418هـ، دار الفكر، بيروت.

الفراء، أبو زكريا بن زياد، معاني القرآن، 1980م، عالم الكتب، بيروت.

القباقبي، محمد بن خليل، تحقيق: أحمد شكري، إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة، 1424هـ، دار عمار، عمان.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، 1420هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1394هـ دار الشروق، القاهرة.

ابن منظور، محمد بن مكرم،لسان العرب، 1410هـ دار صادر، بيروت.

النسفي، أبو البركات عبد الله،تفسير النسفي، دار الفكر، بيروت.

النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، 1392هـ، دار الفكر، بيروت.

النيسابوري، الحسن بن محمد القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 1416هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

Chapter "*Al-Ghashiyah*": A Rhetorical, Analytical Study

*Amal Ismail Saleh Saleh**

ABSTRACT

Chapter 88 of the Qur'an "*al-Ghashiyah*" is one of the most important chapters of the Qur'an, it is preferable to recite this chapter in numerous prayers in Islam, such as in the Friday and Eidscongregational prayers.

This chapter starts with questioning, which is an influential way of beginning a speech. The style of the verses of this chapter moves between strong and hard way while addressing the non-believers, and soft and calm way in addressing the believers. Then it addresses the human mind, asking to look deeply in the universe in order to see the clear signs of the presence and the Oneness of God. Then it urges humans to choose what suits their minds and souls.

Keywords: *Al-Ghashiyah*, Chapter 88, Qur'an, Recitation, Prayer.

* Quranic Studies Section, Faculty of Arts and Humanitarian Sciences, Taibah University, Al-Madina Al-Munawwarah, Saudi Arabia. Received on 18/9/2013 and Accepted for Publication on 23/2/2014.